دراسة الصورة اللونية ووظيفتها لدى الشعراء السبع من ديوان الشهيد محمد الدرّة

طالب الدكتوراه إسماعيل شه بخش (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الحكيم السبزواري - إيران
e.shahbakhsh89@gmail.com
الدكتور عباس گنجعلي
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الحكيم السبزواري - إيران
a.ganjali@hsu.ac.ir
الدكتور حسين شمس آبادي
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الحكيم السبزواري - إيران
h.shamsabadi@hsu.ac.ir
الدكتور سيد مهدي نوري كيذقاني
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة الحكيم السبزواري - إيران
sm.nori@hus.ac.ir

A study of the image of color and its functions in the poetry of five poets from the Divan of Martyr Mohammad Al-Dura

Esmail Shah Bakhsh
PhD Student in Arabic Language and Literature , Al-Hakim Sabzevari University , Iran
Dr.Abbas Ganjali
Asistant Professor in The Department Of Arabic Language and Literature at Al-Hakim Sabzwari University , Iran
Dr.Hossein Shams Abadi
Asistant Professor in The Department Of Arabic Language and Literature at Al-Hakim Sabzwari University , Iran
Dr.Mahdi Nuri Kedkany
Asistant Professor in The Department Of Arabic Language and Literature at Al-Hakim Sabzwari University , Iran

الملخص:

إنّ أدب المقاومة الفلسطينية، ضمن مجموعة واسعة من الأنواع الأدبية، وقف إلى النظام الصهيوني للقتال والدفاع عن الأمة الفلسطينية المضطهدة. فاستخدم الأدباء في هذا المجال، مجموعة متنوعة من الأساليب لهذه القضية الهامة؛ يتضمن ذلك إستخدام الصورة اللونية ورمزية اللون. واللون يلعب دورا هاماً في إثارة المشاعر وتحفيز المعاني المختلفة لدى المخاطب. ويعدّ ديوان الشهيد محمد الدرة واحد من الكفاحات الثقافية ضد النظام الصهيوني الذي تمّ جمعه بعد إستشهاد محمد الدرّة بالعديد من الشعراء في العالم الإسلامي. وإستخدم الشعراء في هذاالديوان، الألوان المتنوعة لمجموعة من الأغراض. والبحث يهدف إلى مناقشة إستخدام اللون ومعناه ورمزه متبعا المنهج الوصفي التحليلي مستنتجا أنّ الشعراء استخدموا ألوانا أحمر وأخضر وأسود وأبيض وأصفر مباشرا أو غير مباشر. وقد إستخدموا الألوان في وظائف مختلفة؛ مثل التعبير عن القمع الصهيوني للشعب الفلسطيني، وتحقيق الشعور بالأمل وإنتصار الحق على الباطل، والقمع المتفشي في القدس، وتدفق الحياة في جميع أنحاء فلسطين، ومقاومة الشعب الدائمة.

الكلمات المفتاحية: الصورة اللونية، ديوان محمد الدرة، رمزية اللون، وظائف اللون.

Abstract:-

The literature of the Palestinian resistance, in a wide range of literary genres, was against the Zionist regime for war and defense of the oppressed Palestinian nation. The authors used different methods in this regard. This includes the use of color image and color symbolism. Color plays an important role in stimulating emotions and stimulating different meanings for the audience. The Divan of Martyr Mohammad Al-Dura is one of the cultural struggles against the Zionist regime, which was organized by the poets of the Islamic world after the martyrdom of Mohammad Al-Dura. The poets of this divan have used various colors for different purposes.

The purpose of this study is to investigate the use of color, its meaning and symbol, in a descriptive-analytical method and the results indicate that poets have used red, green, black, white and yellow directly or indirectly. They have used colors for different purposes which include expressing the oppression of the Palestinian people, achieving a sense of hope and victory over telling the truth over falsehood, widespread oppression in Jerusalem, living throughout Palestine, and the constant resistance of the people.

Key words: color image, Divan of Mohammad Al-Dura, color symbolism, color functions.

المقدمة:

لا شك في أنّ الصورة، من أهمّ عناصر القصيدة و أن الإبداع فيها مقصور على الموهوبين. إذا كان اللون من أهمّ مسلزمات بناء الصورة، فإنّ الخيال وراء الإبداع في تشكيلها؛ ومن المعروف أنّ الشعر يرتكز على عامل الخيال والإحساس ومن الملحوظ في الصورة أنّها تقوم لدى الشعراء المقاومة في أنحاء العالم من المسلمين وغيرهم على الكشف عن الجوانب غير المرئية.

وبما أنّ أوسع السياق الرمزي في الشعر المعاصر في أدب المقاومة، ينبع من القضايا الاجتماعية والسياسية للمجتمع، فإنّ الفوضى السياسية والإجتماعية في الأراضي الفلسطينية المحتلّة، يمكن أن تكون أهمّ سبب في ميل شعراء المقاومة إلى عنصر الألوان والدلالات الرمزية.

ويعّد ديوان محمد الدرة من أحد جهود الشعراء والكتاب العرب لمحاربة الظلم الصهيوني والدفاع عن إضطهاد الشعب الفلسطيني. وهي عبارة عن مجموعة من قصائد الشعراء الذين شاركوا في مسابقة شعر محمد الدرة. وفي هذا البحث، تم اختيار بعض القصائد لدراسة دلالات الألوان ومعانيها فيها.

يحاول البحث الإجابة عن هذين السؤالين:

١- ما هي الألوان التي استعملوا الشعراء في ديوان محمد الدرة؟

٢- ما هو توظيف الألوان ودلالاتها في قصائد ديوان محمد الدرة؟

قام الباحثون بدراسة القصائد على منهج التوصيف والتحليل ورأوا أن الإجابة عن السؤالين كانت في هاتين الفرضيتين:

١- إستخدموا الشعراء ألوان شتي في قصائدهم مباشراً ومنها: الأحمر، الأصفر، الأسود، الأبيض وإلخ وغير مباشر منها التلطّخ والشيب والشفق والدم وظلمة الليل وإلخ.

٢- إستخدم الشعراء الألوان للتعبير عن مفاهيم مختلفة مثل القمع الصهيوني وإضطهاد

الشعب الفلسطيني والأمل في النصر وإلخ.

وقد لفتت الرمزية في الشعر العربي المعاصر عامة وأدب المقاومة خاصة، إنتباه العديد من الباحثين، وتم إجراء الكثير من الأبحاث حول الرموز المستخدمة في هذا القسم من الأدب. منها ((مكانة الرمزية للألوان في أدب المقاومة؛ سميح القاسم أنموذجاً)) ليحيي معروف التي قام الباحث فيها بدراسة الألوان ودلالاتها في شعر سميح القاسم وخلص الباحث إلى أنّ الشاعر قد استخدم التعبيرات الرمزية، ليعبّر عن بعض الأفكار والتطلعات والقسوة الصهيونية ومقاومة المقاتلين الفلسطينيين وخلودهم ويعرض معاني الألوان إستخداماتها. كما كتبت صابرة سياوشي ورقة بحثية بعنوان ((مكانة رمزية الألوان في أدب المقاومة في قصائد قيصر أمين بور ومحمود درويش)). وقامت الباحثة فيها بدراسة الألوان في شعرهما وأشارت إلى أهمية اللون في أدب المقاومة وإشتراكهما في معاني الألوان المستخدمة في شعرهما وذكرت خلالها أكثر الألوان استخداماً في شعرهما وأوضحت أنّ الدرويش إستخدم اللون أكثر من أمين بور في شعره.

ولم يعثر الباحثون على بحث عن توظيف اللون ودلالاته في قصائد هؤلاء الشعراء السبع من خلال البحث عن المصادر والمواقع الموثوقة فقاموا بدراسة قصائدهم ومبادئ الصورة اللونية ومكانتها عند العرب.

الصورة:

عرّف النقاد القدامى من العرب الصورة بوصفها عنصرا بنائيا في الشعر وعرّفوا أهميتها في جماليات الشعر وانعكس ذلك في جهودهم النقدية والبلاغية. فعرّف الجاحظ (٢٥٥ هـ) مثلا مفهوم الصورة بانه ((ضرب من النسيج وجنس من التصوير)) (جاحظ، ١٩٦٩: ١٣٠) وقال الجرجاني (٤٤١ هـ) في تعريفها: ((ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة)) (جرجاني، ١٩٩٤: ٣٢٣) قاصدا بها ((الاستعاره)). وعرف حازم القرطاجني (٦٨٤ هـ) في قوله: ((والتخيل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المتخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه؛ فتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها أو تصور شيء آخر بها انفعال من غير رؤية الى جهة من الانبساط أو الانقباض)) (القرطاجني، ١٩٦٦: ٨٣)

وإنّ النقاد العرب المعاصرين حاولوا أن يستفيدوا من التراث النقدي العربي مع التأثر

الواضح بالنقد الغربي. فعبد القادر الرباعي يرى أنّ الصورة ((تتألف في الغالب من حدّين أساسيين: أحدهما حاضر ماثل أمام الشاعر يريد وصفه وثانيهما مختزن في الداخل يماثله أو يضاده)) (الرباعي، ١٩٨٠: ٢٩). فالصورة عند عبد القادر الرباعي أساس كل عمل فني وأدبي يقوم بها الأديب في العمل الأدبي.

وعرف جابر عصفور الصورة بأنها ((أداة الخيال ووسيلته ومادته الهامة التي يمارس بها من خلالها فاعليته ونشاطه وتمثل طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجها من أوجه الدلاله وتنحصر أهميتها في ما تحدث في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير. ولكن أياً كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإنّ الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته. إنها لا تغير الّا من طريقة عرضه وكيفيه تقديمه)) (عصفور، ١٩٩٢: ٣٩٢). إذن الصورة عند عصفور عرضا أسلوبيا يحافظ على سلامة النص من التشويه ويقدم المعنى بتعبير رتيب تعدّ طريقة لاستحداث خصوصية التاثير في ذهن المخاطب في مختلف وجوه الدلالة التي يحافظه من النص في منهج تقديمه وكيفيه إلقائه وما ذلك عنده من متعة ذهنية أو تصور تخيلي نتيجة لهذا الغرض السليم.

اللّون:

إن اللون في اللغة ((هيئة كالسواد والحمرة ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره وفلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد. ولَوَّنَ البُسْرُ تَلْويناً إذا بدا فيه أَثَرُ النُّضج. وفي حديث جابر وغُرَمائه: اجْعَلِ اللَّوْنَ على حدَته؛ قال ابن الأثير: اللَّوْنُ نوع من النخل قيل هو الدَّقَلُ، وقيل: النخل كله ما خلا البَرْنِيَّ والعجوةَ، تسميه أَهل المدينة الأَلوانَ، واحدته لِينَة وأَصله لِوْنَة، فقُلبت الواو ياء لكسرة اللام. وفي حديث ابن عبد العزيز: أَنه كتب في صدقة التمر أَن يؤْخذ في البَرْنِيِّ من البَرْنِيِّ، وفي اللَّوْنِ من اللَّوْنِ، وقد تكرر في الحديث)) (ابن منظور،: مادّة لون).

واللون في الإصطلاح هو ((خاصه ضوئيه تعتمد على طول الموجة ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه أنّ اللون لا يمكن تمييزه الا عن طريق الضوء. فالشمس هي التي تمكننا من معرفة الألوان)) (غربال، ١٩٨٦، ج٢: ١٥٨١)

وإنّ اللون في حياة البشر، هو أحد العناصر التي لها وظيفة بارزة للغاية ومكانة جيدة

في جميع الأعصار والمجتمعات. ومن أهمّ العناصر التي تشكل الصورة الأدبية لِما يشتمل عليه من شتى الدلالات الفنية والنفسية والاجتماعية والرمزية. ويعتبر اللون في علم النفس الحديث، أحد معايير لقياس الشخصية؛ لأن لكل من الألوان تأثيراً نفسياً وجسمياً أثبته علم وظائف الأعضاء وعلم النفس. ومن الواضح أن البشّر قد تأثر بألوان بيئته منذ زمن طويل حتى الآن ويظهر هذا التأثير في أحاسيسه وخطابه.

الصورة اللّونية:

إنّ علاقة الإنسان بالألوان ذاتية وقديمة وأثر اللون بين واضح في حياة الإنسان لذلك فإنّ العرب عرفت الألوان وإهتمّت بها و((عنيت عناية فائقة بها وذلك على ألسنة شعرائها وخطبائها. حتى بات موضوع الألوان من الموضوعات التي تفرّد لها أبواب خاصة في مصنّفات اللغويين المشهورين)) (الزواهرة، ٢٠٠٨: ١٦).

وكان اللون هو وسيلة لوضع الأشكال والألوان في طريق خاص يستمتع الشاعر في إستحضاره والملتقى في قرائتها. و((الشعر إذن ينبت ويترعرع في أحضان الأشكال والألوان سواء أ كانت منظورة أم مستحضرة من الذهن)) (اسماعيل، ١٩٨١: ٦٧)

وإن للألوان في التراث العربي موضوعية وقد ألف عنها بعض المؤلفات ومن أقدمها كتاب الخيل لإبن الأعرابي (متوفي ٢٣١ هـ) الذي تحدث فيها عن ألوان الخيل من الدّهمة والخضرة والحوة والكتمة والصفرة والشفرة والشهبة وقد فصّل القول حول كلّ منها.

وإنّ الشعراء الذين يستخدمون عواطفهم وخيالهم في الشعر، يوضح هذا الانطباع وجديراً بالذكر أنّ ((إستخدام الألوان في النص الشعري ليس عملية إعتباطية محضة، بقدر ما يخضع لقوانين ثابتة؛ فيدلّ اللون الأسود على الواقع ويتكرر في ألفاظ من مثل: الظلم، الليل، الظلام، الموت، الزيف؛ ويدل اللون الأبيض على المثال ومن ألفاظه: الحرية، الشمس، الندي، الموج، الكفن والحياة. ويدل اللون الأحمر على النضال ويتكرر في ألفاظ من مثل: الدم، الجراح والتوهّج؛ و يدل اللون الأصفر على اليأس والإحباط ويكرر في ألفاظ من مثل: اليأس والحزن والغمّ)) (الرواشدة، ٢٠١٢: ١٨١)

إضافة إلى هذا ((تعدّ الألوان من أغنى الرموز اللغوية التي توسع مدى الرؤية في الصورة الشعرية وتساعد على تشكيل أطرها المختلفة بما تحمله من طاقات إيحائية وقوي

دلالية وبما تحدثه من إثارات وانفعالات نفسية في المتلقى)) (شنوان، ١٩٩٩: ٥). وعندما تدخل الألوان على الصورة الشعرية تقصد إلى استحضار الرموز والدلالات القوية تجعل المخاطب ينفعل ويتوهّم كيفية إستخدام الصورة الذهنية التي تنتهي بالوصول الى تشكيلة مقومات كمالية للصورة الشعرية.

ديوان الشهيد محمد الدرة:

إن الجرثومة الصهيونية مع محاولاتها المفسدة والسخيفة وضد البشرية لن تستطيع أن تستعبد أبناء فلسطين. فمنها تعرض قواتها الظلمة إلى الأطفال والمراهقين ومنهم محمد الدرة الذي صار رمزاً لشرسة قوات الصهيون ودلالة بمقاومة أبناء الإسلام أمام عدو الله وعدوهم. وقعت حادثة قتل الصبي محمد الدرة في قطاع غزة في الثلاثين من سبتمبر عام ٢٠٠٠ م في اليوم الثاني من إنتفاضة الأقصى.

خرج محمد مصاحبا والده لشراء سيارة من سوق غزة وعند وصولهما مفترق قرب مستوطنة ((نتساريم)) كانت المواجهات على أشدها بين المتظاهرين الفلسطينيين و القوات الإسرائيلية. فاضطرا للنزول من سيارة الأجرة بعد رفض صاحبها المرور خوفاً من رصاص الغدر. أمسك الوالد بكف طفله الصغير عائداً إلى منزله وفي منتصف الطريق انهالت عليهما زخات الرصاص. حاول الأب الإحتماء ببرميل متروك على الرصيف. وضع إبنه خلفه لعله يحميه؛ لكن المشيئة الإلهية أرادت للطفل أن يستشهد في حضن أبيه.

قامت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري بتوجيه نداءها إلى شعراء الأمة كلهم. شارك أكثر من ألفي شاعر في المسابقة وتم اختيار بعض القصائد ونشرها في كتاب بعنوان ((ديوان محمد الدرة)). ومن بينهم الشعراء السبع هم عبدالله عيسى السلامة، عبد العزيز سعود بابطين، عائض القرني، أحمد تيمور، بهيجة مصري إدلبي، تغريد لطفي وشهلا الكيالي الذين نظموا أحاسيسهم ورتبوا ألفاظهم عن مقتل محمد الدرة.

ومن المشاركين عبد الله عيسى السلامة، الذي فاز بالمقام الثاني، وهو شاعر سوري من مواليد ١٩٤٤ م وله أربعة دواوين شعرية آخرها المعاذير ١٩٢ م. أنشد عيسى السلامة قصيدة ((راعفٌ جرح المروءة)) عن مقتل الشهيد محمد الدرة الفلسطيني وصبّغها بألوان ما. ومن أمثلة إدماج اللون في هذه القصيدة هي:

كلُّ هذي المفرداتِ الصُفْرِ والسّودِ، من الأشياءِ والناسِ

وجُلُّ الناس أشياءٌ

ومِن بَعضِ بقايا الغابرينْ

فمِن الصُفرِ وجوهُ الخائفين

ومِن السودِ جباهُ المجرمين

ومِن الصُفر رَصاصُ الغادرين

ومِن السودِ حَديدُ القاتلين

(الجابر و الحكواتي، الجزء الثاني، ٢٠٠١: ٢٣٧)

إنّ اللون الأصفر يشتمل على معانٍ ومنها الحزن، والهم، والذبول، والكسل؛ يعني الشاعر من اللون الأصفر في هذه القطعة بهذا المعني الحزين؛ لأنّه يستخدمه بجوار كلمة الجبناء و رصاص الغابرين التي تعني ضد الحياة والنشاط.

بالنسبة إلى اللون الأسود، تعني الأبيات التحكم والسيطرة والخشنة وهذه المعاني مأخوذة من الكلمات المجاورة باللون مثل جباه المجرمين وحديد القاتلين.

فكان توظيف اللونين الأصفر والأسود في هذه الأبيات لإلقاء الحزن والخوف وإخبار المخاطب بتهديد الصهيون وعنفها.

ومن الشعراء الذين بادروا بالتعبير عن تعاطفه مع أبناء فلسطين والإستنكار من الإسرائيل، عائض ابن عبد الله القرني، شاعر سعودي من مواليد ١٣٧٩ هـ وله دواوين أولها نحن الخلود ١٤٠٨ هـ. أنشد عائض القرني قصيدته ((ستّون درة في تاج محمّد الدرة)) وصبغها بألوان مثلما يلي:

إحمـرَّ مِـن دَمِـك التـاريخُ واختَضَـبَت ... أنامـلُ الـدهرِ مِـن قـاني الـدمِ السَّـربِ

(نفس المصدر: ٨٧)

إحمرّ وإختضب مرادفان في المعني ويعنيانِ التلطخَ بالدمّ. إن اللون الأحمر يرمز في مثل هذا، الشجاعة والفروسية وسيطرة الظلم وتحدّي المظلومين. لأنّه يجاور بألفاظ ما؛ مثل

التاريخ والدهر. يهدف الشاعر إلى إخبار المستقبل بظلم الصهيون والشهيد المظلوم.

كأنّمـــا الشـــفق الغـــربي قـــد صُـــبِغَت أسمالـــه منـــك أو قـــد بـــاتَ في حُجُـــبِ

(نفس المصدر:٨٧)

إنّ الشفقَ حمرة ظهرت في الأفق حيث تغرب الشمس، شبّهها الشاعر بفقير ملبّساً بثياب بالية و قديمة باللون الأحمر. فاللون الأحمر هنا يرمز إلى الحزن الشديد والغضب الخفي. ومن دقائق توظيف هذا اللون إلى جانب ألفاظ مثل الشفق، أن الشاعر يشير إلى الحزن العالمي ما إن انتشر في الأمم الإسلامية بل إنتشر في أفق الغرب و الشعوب الغربية.

مَـن لَـم يضَـرِّج جـبينَ المجـدِ مِـن دَمِـه أقامـــهُ الـــذُلُّ في عجـــزٍ وَفِـــي نَصَـــبِ

(نفس المصدر: ٩٠)

ضرّج أي لطّخ بحمرة الدم. ومفهوم البيت أن من لم يقاوم أمام الظلم ولم ينوي ببذل النفس في إكتساب مجده و بلده، يخذل وينصب ويعجز عن الوصول إلى المجد والحرية. واللون الأحمر هنا يشير إلى البطولة والتضحية والإقدام.

وأنشد عبد العزيز سعود بابطين، رئيس مجلس الأمناء للمؤسسة، قصيدة ((محمد رمزهم)) وقال في أثناءها:

فَســـدَّدَت روحُـــك الســـوداءُ رميتَهـــا للطـــيرِ يـــرقُصُ مـــذبوحاً وَلم يطِـــر

(نفس المصدر: ١٨٧)

ذكر الشاعر في هذا البيت ((اللون الأسود)) وينسبه إلى الروح القاتل الصهيوني. وبهذا المعنى، يثير شعوراً بالكراهية والنفور في النفس القارئ إلى القاتل و الصهيون. كما يوضح أن قاتل الطفل لديه روح شريرة تطلق النار على الطفل البريء الذي لا يزال لا يستطيع الهروب مثل طائر صغير.

وأحمد تيمور محمود محمد أسعد، أحد الشعراء المصريين المشاركين في المسابقه وله دواوين أولها ثنائية الطفو والغرق ١٩٩٠م. أنشد أحمد تيمور في هذا المجال قصيدة ((مرثية عربية أخيرة)) قائلاً فيها:

كانَ محمّدٌ الدرةُ

آخرَ عَبرةْ

تذرفها عينُ العربِ

على خدِّ العربِ

على شفَةِ العَرَبِ

لِتَرشفَ

حتى يومِ قيامِ الساعَةِ

قهوتَنا السوداءَ المُرَّةْ

(الجابر و الحكواتي، الجزء الأول، ٢٠٠١: ٦٥)

إنّ إستخدام اللون الأسود مع القهوة ومرارتها يعني أن كارثة مقتل محمد الدرة كانت شديدة للغاية وأن المسلمين لم ينسوا الهجمية الصهيونية حتى يوم القيامة. يشير اللون الأسود هنا إلى العبء الثقيل للمشقة الذي يصعب تحمله؛ لأن الإحساس بالحزن والحزن المأخوذ من اللون الأسود، قد زاد في سواد القهوة ومرارتها.

ومن الشاعرات اللاتي شاركت في هذه المسابقة هي بهيجة مصري إدلبي، شاعرة سورية من مواليد ١٩٦٥م التي لها ستةدواوين شعرية أولها ساعة متأخرة من الحلم ١٩٩٧م. أنشدت بهيجة مصري قصيدة بعنوان ((الفجر المنتظر)) قائلا فيها مقولة محمد الدرة:

فضمّوا دمي في تراب البلاد

ليمسي المحال بها الممكنا

(نفس المصدر: ٢٤٠)

الدم مع لونه الأحمر يعبر عن معان مختلفة. ومن هذه المعاني هي الحياة والإثارة. وفي هذا المقطع إستخدمت الشاعرة اللون الأحمر بشكل غير مباشر، لإثارة شعور الحياة بالشهداء الفلسطينيين وتحريض القراء لمرافقة المقاومة الفلسطينية.

ومن بين الشاعرات اللاتي شاركن في المسابقة وأعربن عن مشاعرهن الواضحة والعاصفة بشأن مقتل محمد الدرة، هي تغريد لطفي سورية من مواليد ١٩٧٠م وليس لها ديوان. أنشدت تغريد لطفي قصيدة بعنوان ((عبرات حارّة على ضريح الطفل الصغير)) قائلة فيها:

لا... لن نعبّ من الكري الأقداح في الليل المطير

...

لا تترك الليل البهيم يروع قافلة الضياء

...

يجري ليصنع من ليالي القحط أيام الرخاء

(الجابر و الحكواتي، الجزء الأول، ٢٠٠١: ٢٤٥)

إستخدمت الشاعرة كلمة الليل في هذه الثلاثة. هذه الكلمة في هذا المجال تعني الظلام وتثير اللون الأسود على الفور. تشير هذه الكلمة إلى جانب هذه الأوصاف ((المطير والبهيم والقحط)) إلى المأساة والحزن. وبعد إستخدام كلمة ليل، تستخدم الشاعرة عكسه. هذا التناقض هو في بعض الأحيان كلمة اليوم وأحياناً الضياء؛ وتعني هذه الكلمات المتناقضة بمعنى الإضاءة والأمل وانتصار الحق على الباطل.

و نشاهد ألواناً أخرى بشكل غير مباشر في هذه القصيدة؛ منها اللون الأسود الذي أشارت إليه الشاعرة في كلمة الظلام في هذا المقطع:

إن أكثر الباغي الفساد

وذرّ في القدس الظلام

(نفس المصدر: ٢٤٥)

إن الظلام يخطر بالبال اللون الأسود. وتعنى الشاعرة لهذا اللون هنا هو القمع المتفشي للنظام الصهيوني الذي يتناسب مع أرواحهم وأعمالهم السيئة.

ومنها اللون الأحمر الذي أشارت إليه كلمة الدماء فيما يلي:

حتى تعانقه العلي حتى تخلّده الدماء

(نفس المصدر: ٢٤٦)

يعبر الدم في هذه العبارة عن اللون الأحمر وتعني الشاعرة هنا باللون الأحمر الحياة والخلود للقدس.

ومن الشاعرات شهلا الكيالي شاعرة أردنية من مواليد ١٩٤١ م ولها أكثر من ديوان أولها كلمات الجرح ١٩٨٥ م. أنشدت شاعرة شهلا الكيالي قصيدة بعنوان ((مقاطع إلى محمد الدرة)) وبادرت بذكر الألوان فيما يلي:

بركان من زيت أسود

يحرق وجه الأرض

في البحر شعاع ودّع خيط النور

(الجابر والحكواتي، الجزء الثاني، ٢٠٠١: ١٣)

إستخدمت الشاعرة في بداية القصيدة اللون الأسود. ولقد استخدم هذا اللون في الجملة الأولى للدلالة على قمع النظام الصهيوني وظلمه. وجاءت الشاعرة في مقابل هذا اللون، بذكر الألوان الزاهية بشكل غير مباشر. تمثل كلمتين الشعاع والنور والألوان الزاهية والمتناقضة من الأسود وتثير إحساساً بالأمل والقوة للقارئ.

ومن الألوان المستخدمة في هذه القصيدة هي الأسود والأصفر في هذا المقطع:

واركض دعنا ابنتي نبعد عنا الحقد الأسود

أنظر بسمته الصفراء

(نفس المصدر: ١٤)

اللون الأسود في هذه العبارة يدل أيضا على الفظائع الصهيونية التي أباحها على الفلسطينيين. والشيء الجدير بالملاحظة هو أن الابتسامة كانت ممتعة ومفرحة عندما تكون

بجانب اللون الأبيض. لكن الابتسامة الصفراء تشير إلى الكراهية والخبث التي تنسبها الشاعرة للقوات الصهيونية.

تتحدّث الشاعرة من بيان محمد الدرة للقاتل الفتاك:

كيف ستقتلني، أنا غصن أخضر

(نفس المصدر:١٤)

يمثل اللون الأخضر في هذه العبارة الحياة والنشأة والنعومة؛ وتطبيقه على المراهقة يدل على بداية طريقة للحياة لم تعد موجودة في العالم بفظاعة القاتل المفترس. وتثير الشاعرة بإستخدام هذا اللون في هذه العبارة، الحزن الشديد للقارئ.

نتائج البحث:

كانت وظائف اللون في أدب المقاومة، عديدة ومهمة. نرى بعض هذه الوظائف في ديوان الشهيد محمد الدرة. إستخدم الشعراء في هذا الديوان مجموعة متنوعة من الألوان: الأبيض والأسود والأصفر والأخضر والأحمر.

١- إستخدم الشعراء الألوان في بعض الحالات، مباشرة وفي حالات أخرى، غير مباشرة و بالكلمات التي تعبر عن اللون المناسب لتلك الكلمة. مثل الليل (يدل على اللون الأسود) واليوم (يدل على اللون الأبيض) والدم (يشير إلى اللون الأحمر).

٢- إستخدام اللون بإي طريق مباشر أو غير مباشر، له معان مختلفة. يستخدم الشعراء الألوان الزاهية وفي حالات أخرى الألوان الداكنة.

٣- إن اللون الأسود هو أحد الألوان الداكنة التي أستخدمت في هذه القصائد وتعني اضطهاد النظام الصهيوني على الشعب الفلسطيني.

٤- اللون الأحمر هو أحد الألوان الداكنة التي يُشار إليها غالبًا بطريقة غير مباشرة. بما في ذلك الكلمات مثل الشفق والدم. هذا اللون في أدب المقاومة وكذلك في هذا البحث، يعني الحياة والبقاء للنضال. كما يعبر عن إفتراس النظام الصهيوني.

٥- اللون الأبيض هو من أحد الألوان الزاهية المستخدمة في هذه القصائد؛ وهو في جميع الحالات ممتع ومبتهج، مما يدل على الأمل والحياة وانتصار الحق على الباطل.

٦- كما أن اللون الأخضر في هذه القصائد، يعني بداية الحياة والمراهقة المصاحبة لنضارة الحياة وشعورها.

٧- لقد نوقش اللون الأصفر أيضًا في هذا البحث وعلى الرغم من أنها من الألوان الزاهية، إلا أنها تضفي شعوراً غير سارة بالكراهية والاشمئزاز لأنها مصحوبة بابتسامة سخيفة.

قائمة المصادر والمراجع

١. إسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، بيروت، دار العودة، ١٩٨١ م.
٢. الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
٣. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٤م.
٤. الرباعي، عبد القادر، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، منشورات جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٠ م.
٥. الرواشده، حامد سالم، خالد الساكت شاعرا، الأردن: الحامد للنشر و التوزيع، ٢٠١٢ م.
٦. الزواهرة، طاهر محمد هزّاع، اللون و دلالاته في الشعر الأردني نموذجاً، دار الحامد للنشر و التوزيع، ٢٠٠٨ م.
٧. عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث البلاغي و النقدي عند العرب، ط ٣، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢ م.
٨. غربال، محمد شفيق و زملاءه، الموسوعة العربية المعاصرة، دار نهضة لبنان، بيروت، ١٩٨٦ م.
٩. القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تحقيق: محمد بن حبيب بن الخوخة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦ م.
١٠. الجابر، عدنان بلبل و الحكواتي، ماجد، ديوان الشهيد محمد الدرّة(الجزء الثاني)، مؤسسة جايزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ٢٠٠١م
١١. إبن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد المصري، لسان العرب، بيروت، دار المعارف، ١٩٠٠ م.
١٢. شنوان، يونس، اللون في شعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا، اربد، ١٩٩٩م.